التطور الديني في ديانة بلاد الرافدين
من تعدد الآلهة إلى مفاهيم التفريد والنبوة

The Religious Evolution in Ancient Mesopotamia
From Polytheism to Tendencies of Monotheism
and Prophetic Thought

م. م. حسام الدين محمد سلمان

قسم مقارنة الأديان/ كلية العلوم الإسلامية/ الجامعة العراقية

Assistant Lecturer: Hussam Al-Din Mohammed Salman

College of Islamic Sciences- Al-Iraqia

University Department of Comparative Religion

البريد الالكتروني: husamaldeen.m.salman@aliraqia.edu.iq

الملخص

تتناول هذه الدراسة قضية الألوهية في واحدة من أهم الحضارات الإنسانية، وهي حضارة بلاد العراق القديم أو المعروف ببلاد الرافدين، والتي ظهرت فيها عبادة الآلهة منذ آلاف السنين، والتي عبدها الإنسان العراقي القديم لأنها ارتبطت بعوامل اتصلت بحياته اليومية كالزراعة، فهي من أهم العوامل التي جعلت العراقي القديم يفكر في موجودات الكون من حوله كالكواكب والنجوم والشمس والقمر، فمن هنا برزت فكرة الديانة بمعناها التقليدي أو قل الألوهية بمفهومها القديم، والذي تطور فيما بعد إلى أنْ وصل إلى التوحيد، ولهذا فالهدف من هذا البحث هو الكشف عن الفكر الديني لدى حضارة بلاد الرافدين وتطوره ومروره بمفاهيم عدة كالإله الواحد والتفريد الإلهي وصولًا إلى ظهور الأنبياء أو النبوة على أرض هذه الحضارة.

ومن أجل بيان هذا كله فقد اتبعت منهجًا تحليليًا، وقد توصلت إلى عدد من نتائج هذه الدراسة من أبرزها: أنَّ حضارة العراق القديمة كانت المهد الأول الذي ظهرت فيه معالم النبوة والرسالات السماوية حيث توطن سيدنا آدم وأولاده أرض بلاد الرافدين، ونوح وإبراهيم وإدريس (عليهم السلام).

وبينت الدراسة عن الصلة الوثيقة بين الملاحم والقصص مثل (جلجامش وإنكي وإينوما إليش) والتي فسرت قصة خلق للكون والإنسان، والذي ينبئ حسب الفكر العراقي القديم عن أنَّ هناك إله للسماء وإله للأرض وهما اللذين كانا سببًا في وجود الكون والإنسان، وقد تأثرت بها الحضارات الأخرى مثل حضارة المصريين القدماء باعتبارها أيضًا من أهم الحضارات الإنسانية.

وكذلك كشفت الدراسة عن تحول الديانة في بلاد الرافدين من مفهوم التعدد الإلهي إلى مفهوم التفريد وظهور ما عرف بالإله الواحد وهو (مردوخ) الذي خضعت له الآلهة الأخرى.

الكلمات المفتاحية: الألوهية- الإله الواحد- التفريد- التعدد- النبوة- ديانة بلاد الرافدين

Summary:

This research addresses a crucial religious issue: divinity in one of humanity's most significant historical civilizations: Mesopotamia. The worship of deities emerged there thousands of years ago, as ancient Iraqis revered them due to their connection with daily life factors, such as agriculture. Indeed, these factors were paramount in prompting ancient Iraqis to contemplate and observe the universe around them, including planets, stars, the sun, and the moon. This is where the idea of religion, in its traditional sense, or perhaps divinity, in its ancient concept, first arose. This concept later evolved to monotheism. Therefore, the objective of this research is to uncover the religious thought of Mesopotamian civilization, its development, and its progression through various concepts like the single God and individuation, leading to the appearance of divine messages on this civilization's land. To achieve this, I will employ an analytical methodology. I have reached several key findings, among them: that ancient Mesopotamian civilization was the first cradle from which the signs of prophecy and divine messages emerged. Prophet Adam (peace be upon him) and his descendants resided in Mesopotamia for a period, as did other prophets such as Prophet Noah (peace be upon him), the father of prophets Abraham (peace be upon him), and Prophet Idris (peace be upon him). Furthermore, the research revealed a strong link between epics and stories like Gilgamesh, Enki, and Enuma Elish and the story of the creation of the universe and humanity. Other civilizations, such as ancient Egyptian civilization, one of humanity's most important civilizations, were influenced by these narratives.

Keywords: Divinity - Monotheism - Individuation - Polytheism - Prophets - Mesopotamian Religion

المقدمة

تُعد مسألة الألوهية أحد القضايا المحورية في التاريخ الإنساني القديم، وتظهر هذه المسألة بشكل واضح لدى حضارة بلاد الرافدين، تلك الحضارة الموغلة في القدم، وقد شملت هذه الحضارة، حضارات أخرى تابعة لها منها السومريين والأكاديين والبابليين والآشوريين، وقد مثّلت هذه الحضارات نماذج متميزة في مسار تطور الفكر الديني، لا سيما فيما يتعلق بمفهوم الألوهية. فقد شهدت هذه الثقافات انتقالًا تدريجيًا من تعدد الآلهة إلى تصورات أكثر تعقيدًا تضمّنت في بعض المراحل نزوعًا نحو نوع من (التفريد) والألوهية. ولم يكن تصور الألوهية فيها قائمًا على إله منفرد، بل على منظومة مترابطة من القوى الإلهية، حيث كان لكل إله دور محدد يرتبط بجانب من جوانب الكون أو الحياة اليومية، وعلى الرغم من ذلك، فقد برزت فكرة إله معين يُعظَّم فوق سائر الآلهة، بل ويُوحَّد دون غيره من الآلهة، وهو ما يمكن اعتباره توجّهًا نحو التوحيد ضمن تعددية قائمة.

وقد لعبت بعض الشخصيات ذات الطبيعة الدينية، التي يمكن مقارنتها بأنبياء أو وسطاء، دورًا في نقل الرسالة الإلهية أو في تمثيل الإرادة العليا، مما يدل على ديناميكية العلاقة بين العالم الأرضي والعالم السماوي في تصور العراقي القديم. ومن هنا، هدف الدراسة هو فحص طبيعة الألوهية في هذه الحضارة وعلاقتها بمفاهيم محورية مثل التوحيد، والتفريد، والتعدد، ودور الأنبياء المرسلين (النبوة) في نشر الدين.

أهمية الدراسة:

تجئ أهمية الموضوع، لما لمسألة الألوهية وتطور مفاهيمها في تاريخ حضارة العراق القديم، فهي ليست بالهامشية أو أنها مجرد معتقدات عادية، ولكنها محورًا أساسيًا لهذه الحضارة، ومن أجل فهم تصوراتها لدى الإنسان العراقي القديم الذي عبد آلهة كثيرة في العصور الحجرية الأولى، بل وتوجههم فيما بعد إلى تعظيم إله واحد، ومن أهميته أيضًا طبيعة الصلة بين الألوهية وتعدد الآلهة والتفريد, ثم النبوة أو الأنبياء والمرسلين الذين دعوا إلى التوحيد، فهي حلقة مترابطة ومتسلسلة للفكر الديني في هذه الحضارة، وكل هذا يكشف لنا عن روح التفاعل في تلك الحضارة العريقة وفي مسار تاريخها مع الحضارات الأخرى، ومن خلال هذه الآلهة، ندرك سبب

بناء المدن الشاهقة، وسن القوانين، وتأليف الملاحم، وتنظيم الحياة اليومية بأكملها، إنها نافذة لا غنى عنها لفهم دوافع البشر ومعنى وجودهم في واحدة من أعظم الحضارات الإنسانية.

هدف الدراسة:

يتجلى الهدف من هذه الدراسة: الكشف عن مفهوم الألوهية في حضارة بلاد الرافدين، وتصوراتها التي ارتبطت بها مثل الإله الواحد والتعدد الإلهي، والنبوة، وبيان العلاقات فيما بينها. وكذلك إظهار مفهوم التفريد الإلهي، وعلاقته بالعقيدة ومدى تأثيرها في نشر العقيدة الدينية، ومحاولة فهم ما إذا كانت بعض الآلهة قد اكتسبت صفة التفرّد دون نفي وجود آلهة أخرى، ومن الأهداف أيضًا: بيان النبوة في حضارة بلاد الرافدين فهل ظهرت فيها أم لا؟ مع الكشف عن دور الأنبياء الذين ظهروا فيها من أجل نشر الدين.

إشكالية الدراسة:

تتمثل إشكالية هذه الدراسة في تحليل فكرة الألوهية لدى حضارات بلاد الرافدين وتطوراتها في الأزمنة اللاحقة، ومن هنا فالدراسة تحاول الإجابة عن تساؤلات رئيسية, ومنها: ما الكيفية التي كانت عليها فكرة الألوهية لدى حضارة بلاد الرافدين؟ وهل توقفت عند تعدد الآلهة أم أنها تطورت إلى الإله الواحد الذي نزلت به رسالات الأنبياء عليهم السلام؟ ويتفرع عنه تساؤلات فرعية, ومنها: هل كان للمجتمع العراقي القديم تأثير على الفكر الديني؟ وما مفهوم التفريد الديني وهل له تأثير على العقيدة؟ وكذلك هل ظهرت النبوة في حضارة بلاد الرافدين؟ وهل كان لها تأثير على انتشار الدين؟

منهجية الدراسة:

نعتمد على المنهج التحليلي، وذلك باستقراء وتحليل النصوص المتعلقة بمفهوم الألوهية, وما المقصود بالتفريد الإلهي والتعدد والأنبياء والمرسلين أو النبوة بغية الكشف عن علاقة الألوهية بهذه القضايا. وكذلك المنهج المقارن عند الحاجة إلى ذلك في ثنايا الدراسة، وخاصة من خلال مقارنة مفهوم الألوهية بما ورد في بعض الحضارات الأخرى.

تمهيد

نظرة على المجتمع العراقي القديم وتأثيره على الفكر الديني (الخلفية التاريخية):

يُعدّ المجتمع في العراق القديم من أقدم المجتمعات التي أسهمت بشكل فعّال في تشكّل الفكر الديني الإنساني، حيث ساهم منذ الألف الرابع قبل الميلاد، وبداية مع الحضارة السومرية، في وضع اللبنات الأولى للرموز والمعتقدات الدينية، والتي تطورت لاحقًا وانتقلت إلى شعوب أخرى كالأكديين، ثم البابليين فالآشوريين. وقد خضع هذا الفكر الديني لتأثيرات متعددة، كان من أبرزها العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التي مارست دورًا محوريًا في صياغة معالم الحياة في تلك الفترة. ويُعزى ذلك إلى التداخل العميق بين الدين وشؤون الحياة اليومية، بل والسياسية كذلك، حتى أصبح الدين مكوّنًا أساسيًا في الوعي الفردي والوجدان الجمعي، كما تحوّل إلى ركيزة من ركائز النظام المجتمعي وهيكل السلطة الحاكمة.

تبلور الفكر الديني في بلاد الرافدين ضمن سياق حضاري متقدّم نسبيًا بالمقارنةً بما سبقه من عصور ما قبل التاريخ، إذ كان للاستقرار الزراعي في مناطق السهل الرسوبي بجنوب العراق أثرٌ بالغ في تشكّل المجتمعات العراقية الأولى، وقد ساهم هذا الاستقرار في إرساء أسس تنظيم الحياة اليومية للإنسان، سواء من خلال محاولته فهم الظواهر الطبيعية وتأويلها دينيًا، أو عبر ضبط العلاقات الاجتماعية وتوجيهها عبر منظومة من المفاهيم العقائدية، وقد عكس ذلك كله مدى حاجة الإنسان إلى الاطمئنان على حياته اليومية، وإيجاد شكل من أشكال السيطرة الرمزية والأخلاقية على العالم المحيط(١).

ولقد ساهم الاستقرار الزراعي في بلاد الرافدين - ولا سيما في مدينتي (سومر وأكد)، والتي أحدثت تحولات جذرية في شكل المجتمع العراقي آنذاك، حيث انتقلت حياة الإنسان من حالة التنقل والصيد إلى مرحلة أخرى هي الاستقرار والإنتاج الزراعي، ولا شك أنَّ هذا التحول قد ساهم في بروز نظرة دينية جديدة قائمة على التفاعل مع البيئة المحيطة به، وكذلك تفسيرات الإنسان لكل الظواهر الطبيعية المؤثرة على الزراعة، ومن هذه الظواهر على سبيل المثال: ظاهرة الفيضان والمطر والجفاف، حيث سيطرت التفسيرات الغيبية الصادرة أو التي تم تجسيدها في شكل آلهة متعددة (٢).

(١) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، طه باقر، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٠١/١.
(٢) المرجع نفسه، ١٠١/١.

ومن هنا فقد توجه العراقي القديم نحو القوى الغيبية مثل عبادة الإله (إنليل) رب الهواء والعواصف، والإلهة (نينهورساج) المرتبطة بالأرض والزراعة، في محاولة من الإنسان العراقي القديم إلى طلب العون والبركة والخير من هذه الآلهة، ومن هنا فقد أصبحت العلاقة مع الآلهة علاقة نفعية تستهدف ضمان خصوبة الأرض واستمرارية الحياة الزراعية [١]. ويرى الباحث أنَّ ما سبق يؤكد على أنَّ الاستقرار الزراعي لدى حضارة بلاد الرافدين اعتمد على الفكر الديني وعبادة الآلهة المتعددة، بل ساهم في توسع الديانة القديمة وأفكارها لأنها كانت بمثابة نجاة للإنسان العراقي القديم في تلك الفترة من حياته اليومية واحتياجاته.

ومن المرجّح أنَّ أولى التصورات الدينية التي نشأت لدى المجتمعات الزراعية القديمة في بلاد الرافدين أنها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بقوى الأرض، إذ عبّر الإنسان عن هذه القوى من خلال تجسيدها في هيئة (الآلهة الأم)، التي ترمز إلى الخصوبة والنماء، وقد دعم هذا التصور العديد من الألواح الأثرية، ولا سيما الدمى الطينية الصغيرة التي عثر عليها في مواقع مختلفة، والتي غالبًا ما اتخذت هيئة أنثوية عارية تُبرز سمات الأنوثة، في إشارة رمزية إلى الخصوبة والتكاثر. وقد ارتبط هذا النموذج العقائدي بمرحلة تحوّل الإنسان نحو الزراعة وتدجين الحيوان، واستقراره في قرى ومستوطنات زراعية دائمة [٢].

ولقد كانت المعابد في مدن العراق القديم، وخاصة سومر وبابل من المراكز الإدارية والاقتصادية بجانب دورها الديني، إذ كان يشرف عليها- على الزراعة والتجارة ومواردهما وغيرها من الأمور المتعلقة بها وبالكهنة باعتبار أنَّ لهم سلطة دينية وأخرى اجتماعية[٣]. فمن هنا ارتبطت الحياة اليومية للناس في حضارة بلاد الرافدين بالآلهة عبر شبكة من الطقوس والمعتقدات التي تُظهر تعددًا إلهيًا ثريًا، حيث ارتبط كل إله بجانب من جوانب الطبيعة أو المجتمع، مثل الإله (إنليل) رب الرياح، و(عشتار) إلهة الحب والحرب, و(إنكي) إله المياه والحكمة [٤]. وههنا يرى الباحث أنه ما سبق عرضه يدل بشكل دقيق على مدى تغلغل الفكر الديني في حياة العراقي القديم، وفي كل شؤون حياته الزراعية والاقتصادية والسياسية بل والفكرية، خاصة الأخيرة التي كان لها إله ينشر

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار الساقي، بيروت- لبنان، ٤/٥٥٠.

(٢) المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين، هالة عبد الأمير محسن، مجلة الجامعة العراقية، ٢٠١٤م، ص١٥٠, وينظر أيضًا: الوجيز في تاريخ العراق القديم، عبد القادر الشيخلي، جامعة بغداد، كلية التربية، (بلا- ت)، ص٢٠٠-٢٠٣.

(٣) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، طه باقر، ١/٢٤٠.

(٤) المرجع نفسه، ١/٢٤٠.

الحكمة والمعرفة بين الناس.

وفي هذا الإطار، أدّت الأساطير دورًا محوريًا في الفكر الديني لحضارات بلاد الرافدين، إذ شكّلت وسيلة أساسية لفهم أصل الكون والوجود، كما وفّرت تفسيرات رمزية للظواهر الطبيعية والاجتماعية التي أحاطت بالإنسان القديم. وقد عكست تلك الأساطير بنية فكرية معقدة تتسم بترابط عميق بين البشر والآلهة، حيث صُوِّر الإنسان على أنه كائن خُلِقَ لتأدية مهام تخدم الآلهة وتلبي حاجاتهم، في مقابل ما تمنحه هذه القوى من حماية وإرشاد.

ويمكن اعتبار الأسطورة مرحلة تأسيسية في التطور العقلي للإنسان، حين كان تفكيره لا يزال في طور التكوين. وقد اتخذت الأساطير أشكالًا متعددة، من أبرزها الملاحم التي ظهرت في تراث عدد من الحضارات القديمة، حيث امتزج السرد الرمزي بالبطولة والتأمل الوجودي ((١. وهذا ما سوف نراه فيما بعد في ثنايا البحث من تأثير القصص والملاحم التي عبرت عن مفهوم الديانة أو الألوهية لدى حضارة بلاد الرافدين وتطوراتها اللاحقة إلى مفهوم التفريد وقضايا خلق الكون والإنسان وخلوده.

وإذا انتقلنا إلى بيان دور المدن مثل بابل وآشور في تشكيل العقيدة الدينية في بلاد الرافدين، فلقد كان لها - لأنها مدن حضارية كبيرة - دورًا محوريًا في ترسيخ الأفكار الدينية، ويدل على هذا أنها لم تكن ذات مركز سياسي واقتصادي فحسب، وإنما مراكز دينية، تحوي كثير من المعابد الكبيرة، مثل معبد (إيساكيلا) للإله (مردوخ) في بابل، ومعبد (إيششارا) للإلهة (عشتار) في نينوى، ونظرا لهذا الدور المؤثر فإنَّ الأمور قد تطورت إلى ما يسمى بأساطير الخلق، والملحمات الدينية الكبرى التي انتشرت في هذه المدن، فظهرت على سبيل المثال: أسطورة (إنوما إليش)، وقد ظهر في هذه الملحمة أول ملمح للتدوين الديني المنظم، والذى ساهم بدوره في وحدة المعتقدات، وتحديد سمات الآلهة ومهامهم، بل تطرق الأمر إلى تكوين مجمع آلهة منظم على غرار مجالس العمل السياسي [٢].

ومع تعاقب الدول المركزية، خصوصًا في بابل وآشور، ظهرت ملامح ما يُعرف بالتفريد الإلهي، حين تصدّر إله مثل «مردوخ» مجمع الآلهة وأصبح يُنظر إليه بوصفه سيد الآلهة الآخرين، لا بإلغاء وجودهم بل بتفوقه عليهم. وقد ارتبط هذا التصور بالتحولات السياسية، حيث كانت

(١) الاسطورة والتراث في حضارة العراق القديم: ملحمة جلجامش أنموذجًا, عبدالرحمن عبدالله الصراف، مجلة الشرق الأوسط للعلوم الإنسانية والثقافية, ٢٠٢٢م، مجلد(٢), العدد(٤), ص٥.

(٢) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، طه باقر، ٢٤٢/١.

الهيمنة الدينية تعكس الهيمنة السياسية، بما يشير إلى نشوء نوع من النزعة التوحيدية الرمزية[١]. وأما فيما يخص الوساطة بين الإله والبشر، فقد عرفت بلاد الرافدين أشكالًا متعددة من الكهانة والعرافة والتنجيم، كان يمارسها أشخاص يُنظر إليهم على أنهم على صلة بالعالم العلوي، ويتلقون إشارات أو رؤى أو رسائل من الآلهة، تُفسَّر وتُقدَّم للملوك أو العامة. ورغم غياب مفهوم (النبي) بالمعنى التوحيدي، فإنَّ بعض الباحثين يرون في هذه الشخصيات نواة لفكرة النبوة في سياقها الرافديني المحلي [٢].

كما كان للكهنة والحكام دور في نشر الديانة في ربوع البلدان العراقية القديمة، فأول ما يتبين لنا أنَّ الملوك الذين حكموا دولة العراق قديمًا، وهم ممثلين للآلهة على الأرض، بل وممثلًا للبشر أمام الآلهة. ومن هنا فإنَّ للملك واجبات دينية وأخرى دنيوية، باعتباره الكاهن الأعلى في الدولة، فهو عليه أداء الشعائر الدينية، كما يشرف على المعابد من خلال بناءها وتوسيعها وتجديدها، وضمان القيام بأدائه الأدوار الرئيسة في بعض الأعياد مثل عيد رأس السنة الجديدة والزواج المقدس، وكان الملك مسؤولًا عن تقديم الطعام والشراب إلى الآلهة ومسؤولًا عن عملية التطهير المقدس والقيام بدوره في الطقوس الدينية [٣]. كل هذا يؤكد بما لا يدع مجالًا للشك في أنَّ للحكام دورًا بارزًا في انتشار الديانة في الدولة وتوطيد شعائرها التعبدية بين أبناء بلاد الرافدين.

وتجسيدًا لهذا البُعد الديني في الحياة السياسية، نلحظ أنَّ ملوك المدن الكبرى في بلاد الرافدين، مثل بابل وسومر، كانوا يُقدمون في الخطاب الرسمي باعتبارهم ممثلين للآلهة على الأرض أو مختارين من قبلها، ما منحهم مكانة دينية رفيعة، بل إنه في بعض الحالات، كما في عهد الملك (نرام سين) الأكدي، شهدت تأليه الحاكم نفسه، حيث اعتُبر إلهًا يُعبد، لا مجرد نائب عن الإله. وقد وفّرت هذه النظرة غطاءً دينيًا يُضفي شرعية على السلطة الملكية، ويُبرر السياسات التي ينتهجها الحاكم. وتظهر ملامح هذا التوجه بوضوح في النصوص الملكية، التي تَنسِب الانتصارات العسكرية والإنجازات العمرانية إلى عناية الآلهة ورضاها، مما يعكس مدى تداخل الدين والسياسة [٤]. وانطلاقًا من هذه الخلفية التاريخية حول الأوضاع الحياتية لبلاد

(١) المرجع السابق، ٢٤٣/١.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ص٥٧٠.

(٣) الوجيز في تاريخ العراق القديم، عبد القادر الشيخلي، ص ٢٠٤.

(٤) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، طه باقر، ٣٢٤/١, وينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د.جواد علي، ٥٦٣/٤.

الرافدين والتي ارتبطت بالفكر الديني وفكرة الألوهية وتعدد الآلهة والتفريد الإلهي ووصولًا إلى التوحيد الإلهي بمعناه السماوي المنزل على الأنبياء والمرسلين، كل هذا سوف نتناوله من خلال المباحث الثلاثة التالية:

المبحث الأول: الألوهية في بلاد الرافدين (تحليل تعدد الآلهة والتوجه نحو التوحيد).

المبحث الثاني: مفهوم التفريد الديني وأثره على العقيدة.

المبحث الثالث: النبوة في بلاد الرافدين (تحليل مفهوم الأنبياء ودورهم في نشر الدين).

المبحث الأول
الألوهية في بلاد الرافدين (تحليل تعدد الآلهة والتوجه نحو التوحيد)

لقد شكّلت حضارة بلاد الرافدين بمدنها الكثيرة مثل سومر, وبابل، وأكد واحدة من أهم التجارب البشرية في قيام الفكر الديني، وخاصة فكرة تعدد الآلهة، التي كانت بمثابة أساس ثابت في حضارة بلاد الرافدين، وقد ارتبط هذه الأساس بمظاهر كثيرة مثل مظاهر الطبيعة، والحياة اليومية والحكم، لكنها حضارة اتجهت إلى عبادة كل مظاهر الكون والطبيعة، منتقلة من هذا التعدد في الآلهة نحو عبادة الإله الواحد في آخر المطاف، ولكن ذلك تم على نحو تدريجي، وليس هذا الأمر برفض للآلهة المتعددة، وإنما الفكرة الأساسية من هذا التوجه هو كأساس رمزي ومركزي لإله واحد ضمن مجمع الآلهة.

وتُشير الشواهد الأثرية في وادي الرافدين إلى أنَّ جذور المعتقدات الدينية تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، مما يدل على أنَّ الفكر الديني تطوّر تدريجيًا كغيره من النتاجات البشرية. وبالتالي، فإنَّ العقائد الدينية في الفترات التاريخية كانت امتدادًا وتطورًا لما سبقها من تصورات دينية في العصور الحجرية والمجتمعات الزراعية الأولى [١]. وعن مبدأ تطور الدين يقول جفري بارندر: «لا بد أنَّ الحس الديني قد خضع لنفس التطور الذي خضع له الإنسان، فاختلف وفقًا لمراحل كبيرة لارتباطه ارتباطًا وثيقًا بالإطار الثقافي الذي وجد فيه» [٢]. ذلك يؤكد بقوة على تأثير الجوانب الثقافية والاجتماعية في الحس الديني لدى الإنسان سواء القديم أو الحديث، وهذا ما حدث بالفعل مع العراقي القديم من تطور نظرته وفكرته عن الألوهية بمعناه التعددي وتوجهه إلى التوحيد في نهاية المطاف.

وعلى الرغم من قلة المواد الأثرية المتعلقة بموضوع الفكر الديني في هذه الفترة -عصور ما قبل التاريخ- في حضارات بلاد الرافدين، إلا أنَّ هناك من الآثار التي دلت على ممارسة الإنسان العراقي القديم، لبعض التقاليد الدينية، وقد تركزت هذه الآثار في الرسوم والنقوش المكتوبة على جدران

(١) نشأة وتطور الديانة في وادي الرافدين، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، بلخير بقة، المجلد (٢)، العدد (١)، ٢٠١٩م، ص٣٣.

(٢) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر, سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٣م، ص٨.

وأسقف المعابد والكهوف والمغارات التي كانت بمثابة منازل، إضافة إلى عدد من التماثيل ذات الصفة الدينية، والعديد من التمائم الحجرية، والصدفية والطينية، والمقابر التي عثر عليها [١].

ومن هنا يرى الباحث أنَّ تعدد الآلهة عند العراقي القديم هو الفكرة المسيطرة على البدايات الأولى لهذه الحضارة، والتي وجدت على جدران المعابد والألواح الطينية، ويتفق الباحث مع هذه الرؤية، لأنَّ الحضارات القديمة ما عرف عن طابعها الديني إلا من الآثار المدونة على معابدها.

إنَّ نشوء فكرة الدين، وممارسة الطقوس التعبدية للمرة الأولى عند الإنسان العراقي القديم ظهرت في شمال العراق، حيث يكثر سقوط الأمطار الغزيرة، ويزداد عصف الرعود والبروق وفيضان مجاري الأنهار في المنطقة الجبلية، فكان ذلك يسبب خوفًا شديدًا لدى إنسان العصر الحجري القديم وبسبب عدم معرفته بحقيقة الظواهر الطبيعية فتصور هذا الإنسان في بادئ الأمر بوجود قوى وأرواح شريرة كامنة في هذه الظواهر فظهرت بذور عبادتها تحاشيًا لشرورها وإرضاءً لها فاعتقدوا بوجود آلهة تسكن فوق قمم الجبال [٢]. وهذا يؤكد على أنَّ بداية ظهور الفكر الديني لدى الإنسان العراقي القديم هو عبادته للموجودات الطبيعية الظاهرة أمامه في هذا الكون، والتي كان لها تأثيرات مباشرة على مصادر الحياة الأساسية بالنسبة له.

وهذا ما وجدناه لدى الإنسان العراقي الذي سكن في جنوب العراق حيث كانت السماء الصافية والأرض سهلية، مما جعل الإنسان يتأمل ويتفكر بل ويرصد ويلاحظ الكواكب والنجوم المرصعة من فوقه في السماء، فلاحظ العديد من التغيرات المناخية، خاصة التقلب بين الليل والنهار وتعاقب فصول السنة ما بين الصيف والشتاء، فبدأ في عبادة تلك الكواكب، وبذلك ظهرت المجموعة الأولى من الآلهة وهي آلهة الطبيعة، ونعتقد إنَّ عبادة هذه القوى كانت عبادة روحية تأملية وليست عبادة تجسيدية صورية لعدم العثور على دمى أو تماثيل [٣].

وبعد معرفة الإنسان للزراعة وظهور بعض قواها في الألف التاسع قبل الميلاد أصبحت الأفكار أكثر تعبيرًا وشمولًا لواقع المجتمع آنذاك، مما كان إيذانًا بتعلق الإنسان بزراعة محصوله، ومن ثم ارتبطت حياته بفكرة الخصوبة والنماء وخشي تقلبات المناخ المفاجئة، ولذلك ظهرت في قرية جرمو في الألف السادس قبل الميلاد مجسمات دمى من الطين مثلت بعض الحيوانات المختلفة، وكذلك تم العثور على مجموعة دمى من الطين على هيئة نساء حبالى أو بدينات

(١) نشأة وتطور الديانة في وادي الرافدين، بلخير بقة، ص٣٤.

(٢) الحياة والموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة، نائل حنون، دمشق- سوريا، ٢٠٠٥م، ص١٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ص١٣٨.

الجسم.. فأطلق عليها ميثولوجيا اسم (الآلهة الأم) وكانت تشير إلى رموز دينية اقترنت بوظيفة المرأة في عملية الإخصاب والإنجاب، وقد رمزت هذه الفكرة إلى الإنجاب الطبيعي للأرض. وأنَّ تلك الدمى شهدت تطورًا فنيًا ملموسًا مع تطور القرى الزراعية تدريجيًا وهذا ما أكدته المكتشفات والتنقيبات والتحريات الأثرية عن ظهور الآلهة في تلك الأزمنة(١).

وقد جمعت الآلهة في بلاد الرافدين بين النساء والرجال، وبالرغم من ذلك فقد كانت أيضًا تعد توحيدية بالنسبة لبعض المتعبدين الذين كانوا يرون آلهة محددة أرفع مقامًا من البقية. ومع ذلك فقد ارتبط كل إله بمدينة محددة، فعلى سبيل المثال نجد أنَّ الإله (إنكي) الذي ارتبط بمدينة إردو، والإله (آشور) وقد ارتبط بمدينة آشور، والإله (إنليل) الذى ارتبط بمدينة نيبور، والإلهة (عشتار) التي ارتبطت بمدينة أربيل، والإله (مردوخ) الذي ارتبط اسمه بمدينة بابل. وعلى الرغم من أنَّ العدد الكلي للآلهة التي وجدت في بلاد ما بين النهرين غير معروف، إلا أنَّ هناك احصائيات قد توصلت إلى أنَّ عددها يقارب (٢٤٠٠) آلهة نعرفها الآن، ومعظمها كان لها أسماء سومرية. كانت تسمى الآلهة في اللغة السومرية بدنجر وفي اللغة الأكادية كانت تعرف باسم إيلو، وعلى ما يبدو فإنه كان هناك جمع وتوفيق بين عبادة آلهة هاتين الحضارتين فقد كانوا يتخذون آلهة بعضهم بعضاً آلهة يعبدونها (٢).

ومع تطور الفكر البشري، وتقدم الجوانب الحضارية، فقد ساعد على استقرار السومريين في جنوب العراق وازدهارهم الاقتصادي والسياسي إلى نشوء حرية واسعة في الفكر الديني. فاتضحت معالم الديانة العراقية المنتظمة واكتمل نضوجها في العهد السومري في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد أما الأكاديون والبابليون والأشوريون فقد اقتبسوا الديانة السومرية، وأضافوا إليها تغيرات طفيفة في عدد الإلهة وأسمائها ونعوتها وأشياء أخرى لكنهم لم يغيروا جوهر الديانة الأصلية, واعتقد السومريون بوجود مجمع للآلهة ومن خلاله قرروا وناقشوا مصير العالم و إدارة الكون, وكان يرأس هذا المجمع أحد الآلهة ويعد حينها الرب القومي والوطني للبلاد قاطبة (٣).

كما إنَّ أعظم آلهة حضارة وادي الرافدين هي التي شكلت الثالوث المقدس الذي عمت عبادته أرجاء البلاد جميعها ولعدة قرون وهم: (أنو) ، والذي لقب أبو الآلهة وترأس مجمع الآلهة السومري

(١) الحيوية والاستمرارية في العقائد العراقية القديمة حتى سقوط بابل (٥٣٩ق.م.)، شيماء ماجد كاظم, رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٧م، ص٧٧.

(٢) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، طه باقر، دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد- العراق, ١٩٨٦م، ١/٥٠.

(٣) تاريخ العراق القديم، طه باقر, بغداد, مطابع دار التعليم العالي, ط١، ١٩٩٠م، ص٧٩.

طوال عهدهم السياسي ومعبده في مدينة الوركاء. و(إنليل) إله الهواء, و(إيا) إله الرياح العاصفة ومسبب الفيضان، ومعبده أي كور في مدينة نفر. وكان يترأس مجلسًا إلهيًا يسمى (ألانونا) أي الخمسين إله. و(أنكي) إله المياه والأرض وإله الحضارة ومعبده في مدينة اريدو، ولُقِّبَ ملك الإلهة، وهؤلاء الثلاث هم الذين يقتسمون حكم الكون بينهم(١).

وإذا كان الفكر الديني في بلاد الرافدين قد اعتمد على تعدد الآلهة كما كشفنا عن ذلك فيما سبق، فإنَّ هناك بعض من الملامح التي ظهرت في هذه الفترة المبكرة من تاريخ حضارات بلاد ما بين النهرين نحو التوحيد، وهذا ما أشارت إليه النصوص الدينية، والتي تشير إلى بروز نزعة توحيدية تدريجية، خاصة في الحقبة البابلية، ومن أبرز الأمثلة على هذه النزعة التوحيدية صعود الإله (مردوخ) نحو مكانة عالية في العصور القديمة كإله محلي لمدينة بابل، ولكنه قد ارتقى بالتدريج حتى أصبح أعلى إله في البانثيون البابلي، وقد ظهر هذا التحول بشكل واضح في ملحمة (إنوما إليش) التي صورت (مردوخ) على أنه الإله الذي ينتصر على قوى الفوضى، ويقوم بخلق الكون، ويمنح بقية الآلهة أدوارًا ثانوية تحت سلطته(.(٢ وسوف نعرض فيما بعد لهذه الملحمة بشكل مفصل.

وإذا قارنا بين التوحيد البابلي، والذي كان توحيدًا وظيفيًا سياسيًا، من خلال توظيف الإله (مردوخ) كإله للسلطتين الدينية والدنيوية (أو السياسية)، فهذا هو ما ظهر في الحضارة المصرية القديمة، والتي ظهر فيها نزعة التوحيد على يد (أخناتون)؛ إذ فرض عبادة التوحيد في مصر القديمة، أي عبادة إله واحد، إلا أنه فشل بسبب القطيعة مع الإرث الديني والاجتماعي(٣). أما الديانة الزرادشتية في فارس، فإنها قدمت نموذج للتوحيد العقائدي الأخلاقي، فإله للخير وإله للشر، وهو ما جعلها حلقة وصل مهمة في تطور الفكر الديني التوحيدي في الشرق القديم عمومًا(٤)، ويتبين للباحث من هذه النماذج الثلاثة أنَّ نزعة التوحيد لم تكن بالظاهرة الدينية الصرفة، وإنما فيها من العوامل الأخرى مثل العامل السياسي والهوية المتعلقة بالدولة نفسها، وأخيرًا الجانب الأخلاقي في كل حضارة من هذه الحضارات الشرقية القديمة.

---

(١) المعتقدات الدينية، حضارة العراق، فوزي رشيد, دار الحرية للطباعة, بغداد- العراق، ١٩٨٥م، ١٧٧/١.

(٢) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، طه باقر, طبعة سنة ١٩٧٣م, ص ٢٢١.

(٣) الديانة المصرية القديمة، ياروسلاف تشرني، ترجمة: أحمد قدري، مراجعة: محمود ماهر طه، دار الشروق، القاهرة- مصر، ١٩٩٦م، ص ٧٩.

(٤) المصنف الموجز في تاريخ الأديان، فريدريك لونوار، ترجمة: محمد الحداد، دار سيناترا، تونس، ص٢١٧.

ومن هنا يتبين لنا أنَّ التوجه نحو النزعة التوحيدية في بلاد ما بين النهرين، وخاصة مع الإله (مردوخ) لم يكن تطورًا دينيًا فحسب، وإنما تمت قرأته على أنه تطور في السياق السياسي أو الأيديولوجي؛ فصعود الإله (مردوخ) كان جزءًا من مشروع الدولة البابلية لإضفاء الشرعية على سلطتها وتوحيد البلاد من الناحية الدينية إلى جانب توحيدها سياسيًا، فأما توحيدها الديني يكمن في أنها تخضع لإله واحد هو (مردوخ) يُعبر عن وحدتها الدينية وسلطتها المركزية، ومن هنا فالتوحيد هو توحيد سياسي وتوحيد للآلهة الموجودة في بلاد الرافدين لإله واحد، وليس هذا التوحيد هو التوحيد بالمعني العقائدي أو بالمفهوم المنزل من السماء على الأنبياء والرسل، والذي سوف يأتي الحديث عنه في هذا البحث، وسبب هذا أنَّ النصوص القديمة في حضارة بلاد الرافدين لم تُنفِ وجود آلهة أخرى، ولكنها خضعت جميعها لمركزية الإله (مردوخ)، الذي أصبح سيد الآلهة والسماء والأرض [١].

ومما سبق يرى الباحث أنَّ الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين قد تطور من مفهوم العبادة لأكثر من إله في نفس الوقت إلى عبادة الإله الواحد، أو ما يعرف بالتوحيد، وليس المقصود هنا توحيدًا سماويًا، وإنما هو توحيد سياسي ديني يتعبد من خلاله العراقي القديم إله واحد له السلطة العليا، وقد تمثل هذا الأمر في الإله (مردوخ). وهذا ما صورته لنا الملاحم الأسطورية والتي سوف نتعرض لها فيما يلي.

وقد ارتبطت هذه الملاحم الأسطورية بالنزعة التوحيدية التي ظهرت على يد الإله (مردوخ)، وقد قدمت هذه الملاحم إجابة حول مسألة أصل العالم وخلقه، وذلك بالاشتراك مع أساطير متعلقة بالآلهة في هذه الحضارة، وما يهمنا هنا في بحثنا بشكل خاص هو ملحمة (الإينوما إيليش) وهي واحدة من ملاحم الخلق عند البابليين، وقد سميت بكلمات الافتتاحية (عندما في الأعالي) تغزو خلق السماوات والأرض إلى البطل (مردوخ) الذي حارب تيامة أو تيامات (تنين البحر) ومعناها الحرفي اليم وأيقظ الظلام، وقتلها ثم شقها نصفين فانفتحت كالصدفة فصنع السماء من نصفها الأول والأرض من نصفها الثاني [٢].

ومن هنا تعد ملحمة (إينوما إليش) من أهم الأساطير المتعلقة بالآلهة في حضارة بلاد الرافدين والمعروفة أيضًا بأسطورة الخلق البابلية فهي تمثل حجز الزاوية في الفكر الديني لحضارة بابل بوجه خاص، وذلك في الألفية الثانية قبل الميلاد، وقد تحولت هذه الملحمة من الطابع الأسطوري

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. علي جواد، ١١٨/٢.

(٢) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ص ٢١.

إلى الطابع الديني لكي تعبر عن قصة نشأة الكون، وتنظيم العالم، ومكانة الإنسان، والآلهة. وقد سبقت هذه الملحمة كتابة إلياذة هيوميروس، وتدوين أسفار التوراة العبرانية، ومن ثم فقد لقيت الكثير من البحث والدراسة من جانب علماء المسماريات والأنثروبولوجيا والميثولوجيا والثيولوجي، وذلك بسبب أهميتها الكبرى في تفسير قصة الخلق [١].

وقد وُجدت هذه الملحمة مُوزَّعةً على سبعة ألواح فخارية، أثناء الحفريات التي كشفت عن قصر الملك آشور بانيبال، ومكتبته التي احتوت على مئات الألواح في شتى الموضوعات، ومنها على سبيل المثال مغامرة العقل الأولى الأدبية والدينية والقانونية وما إليها، وقد جرى الكشف عن ألواح الملحمة تباعًا، منذ نهاية القرن الماضي، وحتى نهاية الربع الأول من القرن العشرين، حيث اكتملت وصارت واضحةً وميسرةً للترجمة والدراسة، وفيما يلي شرح لهذه الملحمة:

وقد بدأت ملحمة (الإينوما إيليش) بوصف الكون في حالة من السكون والفوضى، فلم يكن يوجد سوى المياه البدائية، ومتمثلة في ثلاثة آلهة: (أبسو وتعامة وممو)، ومن هذه الآلهة، ولدت آلهة أخرى وصفت بالحيوية والنشاط دون عن غيرها، مما كان سببًا في قلق للآلهة القديمة، وقد حاول الإله (أبسو) القضاء على نسله الجديد، لكن (إيا)، إله الحكمة، قتل (ممو) وسيطر عليه، ليصبح هو الإله، وقد أقام مسكنه فوق جسد (أبسو). وبعد هذه الأحداث، وُلد (مردوخ)، ابن (إيا)، الذي فاق أباه قوة وحكمة، وقد واجهت الآلهة الصاعدة تهديدًا جديدًا من (تعامة)، التي قررت الانتقام لمقتل زوجها (أبسو)، فأعدت جيش مكون من كائنات شريرة، وقادتهم (كينغو) لتواجه المخاطر، وقد تردد الآلهة الشباب، ولكنهم لم يجدوا منقذًا سوى الإله (مردوخ)، الذي اشترط أنْ يُمنح سلطة عليا على بقية الآلهة لقبوله هذا الانقاذ، وبعد أنْ أثبت (مردوخ) قوته وقدرته على الخلق بالكلمة، توج سيّدًا على كل الآلهة، وخاض (مردوخ) معركته الضارية ضد (تعامة)، وهزمها وشطر جسدها إلى نصفين ليخلق منهما السماء والأرض، وعنها خلق القمر والشمس والنجوم وبدأ تنظيم الكون، وبعدها خلق الإنسان من دماء (كينغو) لخدمة الآلهة، وينظم الآلهة إلى مجموعتين، (الأنوناكي) و(الإيجيجي). تختتم الملحمة باحتفال الآلهة بتتويج (مردوخ) سيّدًا للكون، وبناء مدينة بابل ومعبده العظيم (إيزاجيلا) تكريمًا له [٢].

(١) المصدر نفسه، ص٢١-٥٧.

(٢) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ص٥٧- ٥٨- ٥٩.

وفيما يلي واحد من أحد النصوص السومرية التي عثر عليها من هذه الملحمة:

اللوح الأول:

«عندما في الأعالي لم يكن هناك سماء،
وفي الأسفل لم يكن هناك أرض،
لم يكن (من الآلهة) سوى أبسو أبوهم،
وممو، وتعامة التي حملت بهم جميعًا،
يمزجون أمواههم معًا.
قبل أنْ تظهر المراعي وتتشكَّل سبخات القصب،
قبل أنْ يظهر للوجود الآلهة الآخرون،
قبل أنْ تُمنح لهم أسماؤهم، وتُرسم أقدارهم»(١).

ومما سبق أنَّ ما تناولته يتضح أنَّ هناك تشابه واضح وجلي في قصة الخلق بين حضارة بلاد الرافدين وبين ما ورد في الحضارة المصرية القديمة، خاصة نصوص (لاهوت منف)، فإن الإله (بتاح) يخلق العالم عبر الفكر والكلمة المنطوقة؛ إذ تأسس عليها صورة رمزية وميتافيزيقية تدل على نشأة الموجودات، فالعالم قد تجلى بالكلمة، وقد انعكس هذا التصور المادي المغاير للخلق، وكل هذا يؤكد على أنَّ هذا الخلق قد فهم فهمًا فلسفيًا متقدمًا لطبيعة الخلق وفاعليته بطريق الكلمة والوعي(٢)، وقد بدأ الخلق من خلال (نون) - المحيط الأزلي عديم الشكل، وعن هذا المحيط خرج الإله المسمى بـ (بتاح) أو (رع) أو (أتوم)، ليقوم بخلق العالم لا بالعنف، بل عبر النطق بالكلمة المقدسة، فالكون يبدأ في تكوينه من منطق إلهي خالص، وليس من جسد ميت، ويتجسّد النظام الكوني المعروف بـ (ماعت)، أي الحق والعدل والانسجام(٣). وتنطوي هذه الرؤية على تصور مركزي لـ (ماعت)- النظام الكوني، الذي لا يُفهم فقط بوصفه توازنًا فيزيائيًا، بل كعدالة كونية مقدسة تحفظ انتظام الأشياء وتمنح الإنسان دوره الأخلاقي في الكون (٤).

---

(١) مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة: سوريا وبلاد الرافدين, فراس السواح, مؤسسة هنداوي, ٢٠٢٢م، ص٦١-٦٢-٦٣ وفي هذه الصفحات ذكر المؤلف نصوص كثيرة جدًا عن الملحمة بألواحها السبعة.

(٢) ديانة مصر القديمة، أودلف إرمان، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر، محمد أنور شكري، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، مصر، ص ٧٢.

(٣) مغامرة العقل الأولى: دراسة في الأسطورة, فراس السواح، ص١٢١-١٢٢.

(٤) فجر الضمير، جيمس هنري برستيد، ترجمة: سليم حسن، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة- مصر، ٢٠١٤م، ص٣٣.

ويرى الباحث أنه برغم التشابه الظاهري بين أسطورة (الإينوما إيليش) في حضارة العراق القديم، وبعض روايات الخلق في حضارة مصر القديمة من خلال نصوص (لاهوت منف)، والتي صورت نشوء الكون من الفوضى إلى النظام، ومن الآلهة إلى الإنسان، إلا أنَّ آليات الخلق اختلفت بين الحضارتين، ففي حين اعتمدت رواية الخلق عند الإنسان العراقي القديم على القوة والعنف كوسيلة للخلق، وذلك بانتصار الإله (مردوخ) على غيره من الآلهة، فيما قامت الرؤية المصرية على النظام والنطق المقدس (أي الكلمة) باعتبارهما مصدر التكوين.

كما اتفقت مع هاتين الملحمتين ما ظهر في حضارة قدماء الإغريق (اليونانيين)، فهناك نصًا ورد عن أحد فلاسفة هذه الحضارة يذكر شيئًا مشابهًا لأسطورة الخلق البابلية، وقد جاء النص الأول على لسان آخر فلاسفة الأفلاطونية الحديثة وهو (داماسكيوس- ٤٨٠ق.م)، وقد كشف هذا النص عن معرفته الدقيقة عن بعض الأساطير البابلية؛ إذ يقول: «لا يقول البابليون بمبدأ واحد للكون، بل بمبدأين؛ الأول تاوت، والثاني أباسون. فتاوت هي زوجة أباسون، وكانت تُدعى بأم الآلهة. وقد وُلد لها اثنين من الإلهة، أحدهما هو موميز، الذي نعتقد أنه يمثِّل العالم العقلي، وعنهم نشأ جيل ثان: داشي وداشوش. وعن هذَين نشأ جيل ثالث: كيساري وأرسوس. وهذان وُلد لهما ثلاثة هم: آنوس وإيلينوس وأوس. ومن أوس وداوكي وُلد بيل الذي يقولون إنه من صنع الكون»، فهذا التشابه فيما بين هذه الرواية وبين ملحمة (الإينوما إيليش)، يصور لنا كأنهما مقطع مقتبس عنها مباشرة؛ فتاوت هي تعامة، وأباسون هو أبسو، ومومز هو ممو، وداشي وداشوش هما لخمو ولخامو، وكيساري وأرسوس هما أنشار وكيشار، وآنوس هو آنو، وإيلينوس هو إنليل، وأوس هو إيا، وداوكي هي زوجته دومكينا، أمَّا بيل فهو الاسم التبادلي لمردوخ والذي دُعي به دومًا ((١.

وقد ارتبط تفسير تعدد الآلهة بالعديد من القصص، أو الملاحم الموجودة على الألواح الطينية، ومما نجده في هذا الصدد أسطورة الإله (إنكي) ونظام الكون، وقد تجلى دور هذه الأسطورة في توزيعها لمظاهر الحكمة والعلم والمعرفة والحضارة على البشر، وذلك بعدما خلق الآلهة الكبرى وأسس الكون، فقد جاء الإله (إنكي) ومهمته هي تنظيم العالم، وتوزيع المهام والوظائف على الآلهة، وتلك الأسطورة إنما تعكس ما كانت عليه الرواية السومرية لنشأة الكون ونظامه، وهنا فقد أشار فراس السواح إلى أنَّ الإله (إنكي)، هو إله الحكمة والمياه العذبة، قد تولّى مهمة تنظيم الكون بعد أنْ وضع (إنليل) الخطوط العريضة للخلق، حيث قام بتحديد مصائر المدن والبلدان،

(١) مغامرة العقل الأولى: دراسة في الأسطورة، فراس السواح، ص ٦٥.

وتوزيع الأدوار والوظائف بين الآلهة والبشر[١]. ومن خلال تحليلنا لهذه الملحمة نرى أنها تؤكد بما لا يدع مجالًا للشك على تعدد الآلهة في حضارة بلاد الرافدين، من خلال ما قام به (إنكي) إله الحكمة الذي وزع الأدوار الأخرى على بقية الآلهة.

وتعرض هنا للدلالة بشكل واضح على دور هذه الملحمة في تفسير وبيان تعدد الآلهة وبيان مفهوم الألوهية في حضارة بلاد الرافدين، وذلك من خلال إشارة أسطورة (إنكي) إلى تنظيم العالم، إنما جاء عبر ما وصلنا من الأسطورة السومرية التي تتحدَّث عن نشاط الإله (إنكي) الخاص بتنظيم العالم، وتيسير أسباب الحياة والحضارة. ولكن الجزء الأول من النص، وهو الجزء الأساسي، مُشوَّه بشكل لا نستطيع معه أنْ نتبيَّن منه شيئًا واضحًا، وعندما يصبح اللوح الفخاري قابلًا للقراءة، نلتقي بالإله (إنكي) وقد وصل في تطوافه الكوني إلى بلاد سومر، فيتوقَّف هناك ويُعيِّن لتلك البلاد مصائرها:

«سومر، يا أعظم بلدان العالم،
أيها المغمور بالنور الدائم، والشرائع المطاعة،
أقدارك عظيمة لا تتبدَّل،
وقلبك واسع عميق، لا يُسبر له غور،
و [...] كالسماء، لا يمكن مسُّها.
الملك الذي تُنجبه، مُزَيَّن أبدًا بحُلِي دائمة.
السيد الذي تُنجبه، على رأسه تاج لا يميل.
سيدك، سيد مُعظَّم، يجلس مع آن في العرش السماوي.
مليكك، هو الجبل العظيم، الأب إنليل.
وكمثل [...] هو أب لكل البلاد» [٢].

أيضًا يمكن الاستعانة بملحمة من أهم الملاحم في حضارة بلاد الرافدين، وهي ملحمة (جلجامش) والتي تعد من أقدم النصوص الأدبية في هذه الحضارة، وقد ارتبطت هذه الملحمة بفكرة الخلود، وهي فكرة محورية ارتبطت بتساؤلات الإنسان حول المصير بعد الموت. وتُجسّد الملحمة هذه الإشكالية من خلال رحلة (جلجامش) في أعقاب موت صديقه (أنكيدو)، حيث شكّل هذا الحدث نقطة تحوّل وجودية دفعته للبحث عن الخلود، معتقدًا بإمكانية النجاة من الفناء.

(١) المصدر نفسه، ص ٤٨.
(٢) مغامرة العقل الأولى: دراسة في الأسطورة، فراس السواح، ص ٤٨- ٤٩.

غير أنَّ نهاية الرحلة تكشف له أنَّ الخلود حكر على الآلهة، بينما الإنسان مصيره الزوال، ليصل إلى قناعة بأنَّ البقاء الحقيقي يكمن في الأثر الذي يتركه الإنسان عبر أعماله وإنجازاته، وهنا يقول فراس السواح: «إنَّ جلجامش إذ يخوض مغامرته الكبرى، يكتشف تدريجيًا أنَّ الخلود الذي ينشده لا يوجد خارج ذاته، بل فيما يحققه الإنسان من منجزات وأعمال تبقى بعده» (١).

غير أنَّ فقدان (جلجامش) لنبتة الخلود - بعدما سرقتها الحية - يُجسّد رمزًا قويًا على استحالة نيل الخلود الجسدي، ويكشف أنَّ هذا الطموح قد تجاوز حدود الإنسان وإرادة القوى العليا، ومن هذا المنطلق، فقد تحوّلت الملحمة من مجرد مغامرة بطولية إلى رحلة وجودية ذات طابع فلسفي، بلغ فيها (جلجامش) وعيًا جديدًا بمحدوديته، ليعترف في النهاية بقدر الإنسان وحدوده، وليتقبل دوره الحقيقي كمُعمّر للأرض وصانع للحضارة. ويؤكد هذا التحول ما أشار إليه بعض المفكرين والباحثين من أنَّ قيمة الإنسان لا تكمن في خلوده الجسدي، بل فيما يتركه من أثر حضاري وإنساني باقٍ. ودليل على هذا ما ذكره السواح أنَّ «جلجامش عندما يعود إلى (أوروك) ويتأمل أسوارها، إنما يدرك أنَّ ما يصنع خلوده هو ذاته كملك ومعمّر وبانٍ للمدن» (٢). فبذلك تنقل الملحمة فكرة الخلود من حيّز الجسد إلى حيّز الفعل الحضاري والذكر الطيب.

ومن خلال ما تناولته من الملاحم أو القصص الأسطورية سواء (إنكي) و(جلجامش) و(الإينوما إيليش)، يتبين لنا عن أنَّ هذه الملاحم تعد من الأدلة البارزة والمهمة في تناول الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين، وتحديدا الألوهية وتعدد الآلهة وفكرة الخلود، وهنا يرى الباحث أنها - الملاحم - ساهمت بشكل جلي في التعريف بمفهوم الألوهية وتعدد الآلهة وما ارتبط بها من مفاهيم أخرى كخلق الكون والإنسان.

أما الطقوس الدينية فسنبين دورها الحيوي في تنظيم الحياة لدى الإنسان العراقي القديم، إذ أشرف على هذه الطقوس الكهنة، وقد شكّلت محورًا أساسيًا ليس فقط في البعد الديني، بل والجوانب الاجتماعية والسياسية، لأنَّ العلاقة بين الإنسان العراقي القديم والآلهة علاقة وثيقة ومتشابكة، إذ كانت الآلهة المعبودة هي الممثلة في مظاهر الطبيعة، والمؤثرة في حياة الإنسان اليومية. وقد تمظهرت هذه العلاقة من خلال منظومة طقسية معقدة يشرف عليها الكهنة، والذين أدوا دور الوسيط بين العالَمين: الأرضي والإلهي. وقد أُنيط بهم الحفاظ على التوازن الكوني،

(١) كنوز الأعماق: قراءة في ملحمة جلجامش، فراس السواح، دار العربي للطباعة والنشر، ١٩٨٧م، ص١١٢.
(٢) كنوز الأعماق: قراءة في ملحمة جلجامش، فراس السواح، ص ١١٥.

وضمان دوام النعم والبركات السماوية على الجماعة[١].

وقد اتسمت الطقوس الدينية - في هذه الحضارة- بطابعها المنتظم وقدسيتها العميقة، إذ ساد الاعتقاد بأنَّ الآلهة تسيّر مختلف جوانب الحياة، وأنَّ التقرب إليها من خلال الطقوس والشعائر هو السبيل الوحيد من أجل استمرارية خصوبة الأرض الزراعية، ومن أبرز تلك الطقوس ما تجلى في تقديم القرابين، فضلًا عن إقامة الاحتفالات الدينية الكبرى، وعلى رأسها عيد رأس السنة المعروف بـ (أكيتو)، الذي حمل معاني رمزية تتعلق بتجديد نظام الكون واستمرارية دورة الحياة [٢]. كما توثقت الصلة بين الطقوس والدورات الزراعية المستمرة، لهذا فقد أقيمت مواسم الدعاء والاستسقاء في أوقات الجفاف، فضلًا عن طقوس الشكر عند الحصاد، وهو ما يعكس مركزية الدين في الحياة الزراعية على وجه الخصوص، ووصف طه باقر في مؤلفه (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) أنَّ الكهنة أقاموا هذه الطقوس في احتفالات مهيبة في المعابد بدأت بتلاوة التعاويذ وحرق البخور [٣].

ومن أجل إقامة الطقوس أنشئت المعابد، لما لأهميتها البالغة، وقد توجب عند بنائها أو إعادة ترميمها أداء طقوس محددة، وذلك في المراحل السومرية الأولى التي أجريت على أساس وضع أشياء في المعابد والمباني ضد عناصر الشر، كالتعاويذ والتماثيل ورموز الآلهة والمسمار الحجري الذي يوضع في هذه الأساسات منقوشًا بها، ومع ذلك فهذه الطقوس لم تظل على حالها هكذا، بل تطورت فيما بعد، فأخذت ترافقها الأضاحي، وكان الإله يفصح عن رغبته في بناء معبد جديد له يعلم بها عن طريق الأحلام التي يراها الملك أو الكاهن في منامه، ومن أقدم الأمثلة على هذا ما روى تفاصيله (جوديا) ملك سلالة لجش الثانية في حدود (٢١٢٠ ق.م)، وكان الإله (إنليل) هو من تفنن بالوحي الإلهي إلى الملك (جوديا) بخصوص بناء معبد لجش وكان من قام بنقل الإرادة الإلهية العليا إلى ممثلها على الأرض إله المدينة المحلي (نينجرسو)، كل ذلك عن طريق الأحلام[٤].

---

(١) الطقوس الدينية المصاحبة لبناء المعابد في حضارة بلاد الرافدين، سامية معوشي، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية, المجلده، العدد١١، ٢٠١٧م، ص٧٠.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد على, ١٤٢/٤.

(٣) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، طه باقر، ٣٤٨/١.

(٤) الطقوس الدينية المصاحبة لبناء المعابد في حضارة بلاد الرافدين، سامية معوشي، ص ٧١-٧٢.

يتضح من خلال حلم الملك (جوديا) وبعض النصوص الدينية الأخرى أنَّ بناء المعابد في حضارة بلاد الرافدين كان يخضع لإجراءات دقيقة ومحددة، تسبقها طقوس واستعدادات خاصة. وكان على الكاهن المشرف على هذه العمليات أن يلتزم بجملة من الشروط والشعائر لضمان قبول المشروع من قِبل الآلهة. واعتُبر أنَّ المعبد الأرضي يجب أنْ يكون مطابقًا تمامًا لنموذجه السماوي، وهو تصور يعكس ارتباط العمارة الدينية بالعقيدة الكونية. فعلى سبيل المثال، كان معبد (الإيساجيل) الذي شُيّد في عهد الملك (نابو-بولاصر) يُعد تجسيدًا أرضيًا لمعبد مفترض بنته الآلهة في السماء. وتؤكد الألواح الطينية، ومنها اللوح السادس من ملحمة الخليقة، على هذا الاعتقاد الراسخ: وفيما يلي نص من هذا اللوح:

«.. وسعى الأنوناكي وراء المواد
ظلوا يعجنون الطوب مدى عام كامل
ولما جاءت السنة التالية
رفعوا عاليًا الـ (إيساجيلا) مساويًا لـ (أبسو)
بنوا برجًا طبقيًا عاليًا كـ (أبسو)
وجعلوا به مسكنًا لـ (مردوخ) و(إنليل) و(أيا)...»[١]

وهناك منتخبات من أدب الترانيم والصلوات، والتي تعطي هذه مفهومًا أقوى وأشد إحساسًا عن التدين الذي كان ينعش هؤلاء الناس القدامى تجاه الظواهر غير الطبيعية، وفيما يلي مقطعًا من قصيدة خاصة بتأدية الطقوس الدينية لا شك أنها وضعت بالسومرية في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، هي بمثابة تمجيدًا للإله (إنليل) الذي كان يعد آنذاك سيد الآلهة والبشر:

«إنليل، سلطته تمتد بعيدًا،
كلمته سامية ومقدسة.
ما يقرره لا يوصف:
انه يعين للأبد مصائر الكائنات.
عيناه تفحصان الأرض كلها،
وشعاعه ينفذ الى أقاصي البلاد» [٢].

(١) الطقوس الدينية المصاحبة لبناء المعابد في حضارة بلاد الرافدين، سامية معوشي, ص٧٦.

(٢) بلاد الرافدين: الكتابة والعقل والآلهة، جان بوتيرو، ترجمة: الأب ألبير أبونا، مراجعة: وليد الجادر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م، ص ٢٥٣.

المبحث الثاني
مفهوم التفريد الديني وأثره على العقيدة

كانت المراحل الأولى من تاريخ بلاد الرافدين قائمة على الفكر الديني وتعدد الآلهة، ولا شك أنها كانت تعددية صارمة شديدة حيث لكل مدينة إله يقوم على شؤونها، بل إنَّ لكل ظاهرة من الظواهر الطبيعية إله مختص بها؛ فإله للخصب (ديموزي)، وآخر للماء (إنكي)، وآلهة للحرب، والرياح، والسماء، وهذا ما سبق أنْ بيناه فيما سبق، ومن ثم فقد تأسس هذا النظام على الاعتقاد بأنَّ الكون تحكمه مجموعة من الآلهة وليس إله واحد، وقد عكس هذا التنوع في الفكر الديني لدى الإنسان العراقي القديم، كما ظهر انعكاسه على البنية السياسية المجزأة للمدن- الدول في سومر وأكد وبابل وغيرها(١).

وبعد القضاء على الدولة السومرية واندماج السومريين في المجتمع الأكادي في الألف الثالث قبل الميلاد، تغيرت الأفكار الدينية بعد أنْ سيطر الأكاديون وحدوث عدة تغيرات سياسية واجتماعية وثقافية فقد زالت دويلات المدن الصغيرة وظهرت الدولة القومية الموحدة الأوسع والأقوى التي يحكمها ملوك متعالين متكبرين مهيبين محجوبين عن أنظار الجماهير. وعلى غرار هؤلاء الملوك، أخذت الآلهة هي الأخرى تعد شخصيات متسامية لا يمكن بلوغها، بل أنَّ الناس أصبحوا يعدون أنفسهم وضعاء وفقراء أمام هؤلاء وأصبحت خدمتهم هي شغلهم الشاغل (٢).

وفي أواسط الألف الثاني قبل الميلاد، ازدادت شعبية الإله (مردوخ) الذي وكلت له مهمة حراسة العاصمة بابل لدرجة أنَّ رجال دين المدينة رفعوه إلى مستوى سيد الآلهة والعالم والبشر، وجعلوه كذلك خليفة للإله السومري (إنليل). وقام الكهنة بنشر ديوان شعري مطول ذا طابع أسطوري وتقريظي أسموه بـ(ملحمة الخلق) التي ظهرت فيها نزعات نحو الأحادية في العبادة المختلفة عن عقيدة التوحيد المطلق. وأظهرت فيها فكرة الإله القوي المسيطر الذي استطاع بفضل قوته وحكمته من القضاء على الآلهة التقليدية القديمة بعد صراعات طويلة وعنيفة انتهت بالقضاء على تلك الآلهة القديمة وظهور جيل جديد من الآلهة الشباب وعلى رأسهم (مردوخ). ومع إنَّ هذه الملحمة لم تنكر ألوهية سائر الآلهة، لكنها مهدت بشكل أو بآخر لعقيدة الإله الواحد. فقد برزت

(١) مقدمة في تاريخ الحضارات القديم، طه باقر، ١٥٣/١.

(٢) الفكر الديني القديم، تقي الدباغ, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد- العراق، ١٩٩٢م، ص٥.

في الألف الأول قبل الميلاد أحادية مماثلة مرتبطة بآلهة أخرى مثل (نابو) ابن مردوخ، و(شمش) إله الشمس الساطعة. ولكن هذه النزعات لم تستطع القضاء على المعتقدات الدينية الأساسية والتقليدية القائمة على فكرة تعدد الألوهية المتمثلة بشخصيات مصورة على هيئة بشر(١).

وبعد هذه التحولات الدينية والسياسية في حضارات بلاد الرافدين، وخاصة في بابل، وأبان حكم الملك حمورابي، فقد بدأ يتجه الفكر الديني القائم على فكرة تعدد الآلهة إلى نوع من النزعة المتفردة والمركزية الدينية، والتي تعكس التوحد السياسي في حضارة بلاد الرافدين، فقد ظهر الإله (مردوخ) بوصفه الإله الأوحد على غيره من الآلهة، ومن ثم فقد اعتُبرت بقية الآلهة في حكم الخضوع لسلطته الإلهية والسياسية كذلك، وقد تجلّى هذا التغير في ملحمة الخلق البابلية المعروفة بـ (إنوما إليش)، والتي سبق الحديث عنها تفصيلًا، ووفق هذه الملحمة فقد منحت الإله (مردوخ) سلطات عليا دون غيره من الإلهة، بعد أنْ هزم كل آلهة الفوضى، وهذا لا يعني أنَّ الآلهة تم إلغائها وإنما رفعت (مردوخ) فوقهم، مما يُعد خطوة باتجاه فكرة الإله الواحد ذي السيادة العليا (٢).

وكان من تأثيرات التحول نحو التفريد الديني في الفكر الديني العراقي، فقد تحولت الطقوس من الجماعية إلى الفردية لإله واحد فقط بدلًا من كونها لمجموعة من الآلهة، فقد تراجعت الجماعية التي كانت سائدة في الطقوس التعبدية، والتي كانت تعتمد على كهنوت مركب وطقوس متكررة لإرضاء الآلهة المتعددة، لتحل محلها تصورات جديدة تقوم على علاقة مباشرة وشخصية بين الفرد والإله المركزي، وقد تجلّت هذه العلاقة في نصوص الأدعية والتضرعات، التي لم تعد موجهة إلى آلهة متخصصة، بل إلى إله واحد يملك القدرة على الاستجابة الشاملة. وقد ساهم هذا التحول في بروز مفاهيم روحية جديدة، مثل الاعتراف بالذنب، والتوبة الفردية، ومحاسبة النفس، وهي عناصر شكلت أرضية أولى لنشوء أخلاق دينية تعتمد على مسؤولية الفرد أمام إله كلي القدرة(٣).

وقد تجلى البعد الفردي في العبادة من خلال الدور الرمزي والوظيفي للملك، الذي يُنظر إليه بوصفه الممثل الأرضي للآلهة أو من فُوض بتوكيل منها للحكم. فقد منحته الآلهة سلطته، وكان من المنتظر أنْ يحكم بالعدل، دون تمييز، مدافعًا عن المظلومين كالأيتام والأرامل. كما أنَّ القيم الأخلاقية لم تكن مجرد سلوك فردي بل كانت وسيلة لكسب رضا الآلهة وتجنب سخطها، وقد

(١) الفكر السياسي في العراق القديم، عبد الرضا الطعان, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد- العراق, ط٢، ١٩٨٦م، ١٣/٢.
(٢) من ألواح سومر، صموئيل نوح كريمر، ترجمة: طه باقر، مكتبة المثني، بغداد، ١٩٨١م، ص ٢٠١.
(٣) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ص ٢٨.

انعكست هذه التوجهات في نصوص تعليمية تداولتها الأجيال تتضمن مبادئ الحكم الرشيد والسلوك القويم. وكان يُنظر إلى استقرار حكم الملك على أنَّه حجر الأساس في استقرار المجتمع بأكمله، لذا كانت هناك طقوس وإجراءات لضمان سلامته واستمرارية نسله. ومن بين أبرز هذه الطقوس، طقس الزواج المقدس، الذي يُمارَس خلال فترة حكمه، مُجسدًا من خلال اتحاد رمزي بين الملك وكاهنة مختارة تمثل دور الإلهة، بما يعكس امتدادًا لميراث (ديموزي) الإلهي في السلطة والخصب [١].

ويمكن للأفراد، إلى حد ما أنْ يتحكموا في حياتهم كما يفعل الملك كما أنه لا بد لهم من توجيه الطقوس نحو الإله الواحد الذي تتم له العبادة، وتلاوة التراتيل التمجيدية للصفات والسمات التي يتصف بها الإله الواحد، كما أنها تنتهي بتسبيحة نمطية للشكر, وتشمل المزامير السومرية والأكادية تراتيل كثيرة توجه إلى المعابد والمدن المقدسة، ويمكن أنْ تتوجه جموع الناس إلى الآلهة الشفيعة مثل (لاما) الذي يوجه الإنسان العبد نحو الإله، كما يؤخذ المرء إلى حفرة الملك الجالس على عرشه, ويمكن كذلك الابتهال للأرواح الحارسة (شيدو) و(لا ماسو), لكن من الواضح أنَّ المسؤولية الفردية ضرورية في الدين. ويتوجه إلى الإله بهذه الأنشودة:

«أعبد إلهك كل يوم،
وقدم له القرابين والصلوات،
التي تتم على أكمل وجه مع تقديم البخور،
قدم قربانك طائعًا لإلهك، لأنَّ ذلك يتناسب مع الآلهة.
قدم له الصلاة والضراعة والسجود كل يوم،
وسوف تثاب على ما تفعل
عندئذ سيكون بينك وبين الله اتصال كامل،
إنَّ التبجيل يولد الحظوة، والقربان يطيل الحياة،
والصلاة تكفر عن الذنب [٢].

(١) المصدر نفسه، ص ٢٨.
(٢) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ص ٢٩.

المبحث الثالث
النبوة في بلاد الرافدين (تحليل مفهوم الأنبياء ودورهم في نشر الدين)

بعد ما تناولت فيما سبق مفهومي تعدد الآلهة وفكرة التفريد الإلهي، وكيف كان هناك صلة وثيقة بينهما، خاصة عندما تحول العراقي القديم من عبادة الآلهة المتعددة إلى عبادة الإله الواحد، أو ما يطلق عليه التفريد الإلهي، وهذا كان علامة أو إشارة واضحة على ظهور النبوة والأنبياء والمرسلين المنزلين من عند الله سبحانه تعالى لعبادة الله الواحد، والتي كما رأينا أنها ظهرت كفكرة دينية لدى العصور الأولى لحضارة بلاد الرافدين التي تتوجه إلى عبادة الإله (مردوخ) باعتباره المنظم لشؤون الحياة الدينية والحكم. فمن هذا المنطلق كانت تلك الأفكار علامة على ظهور الرسالات السماوية في هذه الحضارة.

ولقد كانت منطقة شمالي العراق منطقة سكنى للإنسان منذ العصور الحجرية الوسطى، ولما وصل نبي الله تعالى آدم عليه السلام إلى هذه المنطقة سكن فيها في قرية (زاوي - جمي) وهي أقدم قرية في العالم، ومن المعلوم أنَّه دعا زوجته حواء عليها السلام وهابيل وقابيل إلى عبادة الله تعالى في تلك المنطقة، ثم واصل هجرته إلى بلاد الشام، وامتدت القرى إلى الجنوب (منطقة كركوك الحالية) فشهدت أول قرية هي قرية (جرمو) المعاصرة لمدينة (أريحا) قبل ٥٠٠٠ سنة ق.م. والغريب في الأمر أنَّ المنطقة لم تشهد في العطاء الحضاري في فترة ما قبل هجرة آدم عليه السلام إلى شمالي العراق، علمًا أنَّ هذه المنطقة قليلًا ما شهدت تعاقب هجرة الجماعات البشرية التي جاءت من كردستان والقوقاز وشمال سوريا منذ العصر الحجري القديم وأخيرًا استقر آدم عليه السلام ومن معه بقرب موضع قريب من دمشق [١].

وهذا ما أكدت عليه الألواح الطينية المكتشفة في بلاد الرافدين والمحفوظة بالمتحف البريطاني على وجود قصة خلق آدم وحواء عليهما السلام، وتمثل النخلة وهي تؤكد قدم هذه الشجرة في وادي الرافدين، وتشير الأدلة إلى أنَّ ارتباط قصة آدم عليه السلام، كأول نبي وإنسان مكرم، بأرض الرافدين كمهد للحضارات والبدايات الإنسانية، وعلى الرغم من محاولات العلوم الحديثة (كالأنثروبولوجيا) تفسير أصل الإنسان، إلا أنها لم تصل لصورة مقبولة. لذا، فإنَّ فهم قصة خلق

(١) بلاد ما بين النهرين: حضارة بابل وآشور, ل. دولابورت، ترجمة: مارون الخوري، (بلا- ت), ص ١٥٨.

الإنسان يجب أنْ يأتي من منظور تاريخي وديني لاستخلاص العبرة من وجود الإنسان، وأنَّ الغاية الدينية هي الأهم [١]. وهذا يؤكد على أنَّ مهد النبوة وظهورها كان من أرض بلاد الرافدين التي شهدت قصة خلق آدم وحواء عليهما السلام معًا.

وفي ضوء ما تقدّم، نجد أنَّ قصة خلق الإنسان، ومنه آدم عليه السلام، قد وجدت جذورها الرمزية والطينية في النصوص والأساطير الرافدينية، حيث تناول السومريون والبابليون عبر ألواحهم الطينية القديمة مفاهيم خلق الكون والإنسان بأساليب متعددة، بعضها مباشر وبعضها ضمني. وتُظهر هذه النصوص أنَّ سكان وادي الرافدين طوروا تصورات متقدمة عن نشأة العالم والإنسان أثرت لاحقًا على تصورات شعوب أخرى. من أبرز هذه الأساطير ملحمة (جلجامش)، والتي رغم قلة ما ورد فيها عن الخلق، إلا أنها تضمنت فكرة محورية حول فصل السماء عن الأرض بواسطة الإله (إنليل)، وهو تصور بدائي لفصل العوالم. وتتكرر في الأساطير السومرية والبابلية فكرة خلق الإنسان من الطين، حيث ورد في إحدى الروايات السومرية أنَّ الآلهة قررت صنع الإنسان من طين مأخوذ من أعماق المياه، ليكون عبدًا يخدمها. أما في النصوص البابلية، فقد أُشير إلى خلق كائن يُدعى (لولو)، وهو تعبير يُفهم على أنَّه يُمثل الإنسان الأول، ويُعتقد أنَّ التسمية مستعارة من اللغة السومرية. وتُظهر أسطورة (أدبا) البابلية تشابهًا لافتًا مع القصة التوراتية لآدم، إذ تصف كائنًا خُلق بمنحة إلهية من الحكمة، لكنه خالف أوامر الآلهة حين سعى إلى الخلود، فحُرم منه وأُعيد إلى الأرض. كما توحي بعض النقوش والخواتم المكتشفة في وادي الرافدين، والتي تصوّر مشاهد شبيهة بجنة عدن، إلى أوجه شبه رمزي مع القصة المعروفة في التراث الإبراهيمي عن آدم والجنة [٢].

وإذا كان قد ثبت لنا من خلال ما وجد في الألواح الطينية على وجود سيدنا آدم عليه السلام في بلاد الرافدين، كما عاش قابيل وهابيل في بلاد الشام التي اتصفت بأنها معتدلة المناخ والأمطار، وقد ساعد هذا على قيام الزراعة، والتي مارسها الإنسان القديم منذ القدم، كما مارس حرفة الزراعة فيها، بل ومارسوا مهنة الزراعة قبل معرفة الإنسان لها في بلاد النيل، وبلاد الرافدين، ولعل استقرار ذرية آدم في بلاد الشام نتيجة لممارستهم هذه الحرفة، وسبب آخر مهم سبب قد ساعد آدم وذريته بالهجرة إلى الشام هو قرب هذه المنطقة من مكة، ويعد هذا البيت محور وملتقى الأنبياء من ذرية آدم[٣].

---

(١) الأنبياء في العراق دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة والآثار، رعد شمس الدين الكيلاني، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠١م, ص ٢٢.

(٢) الأنبياء في العراق دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة والآثار، رعد شمس الدين الكيلاني، ص٢.

(٣) المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، رشيد الناضوري, دار النهضة العربية للطباعة، بيروت- لبنان,

ويُعد سيدنا إدريس عليه السلام من الأنبياء الذين ينتمون إلى ذرية آدم، وقد بعث ليكمل شريعته، ودعوة قومه إلى التوحيد وعبادة الله تعالى الواحد، وقد أشارت بعض الروايات إلى أنَّ عصره شهد بداية تقدم ملحوظ في بعض العلوم، ومن أبرزها معرفة حساب الزمن، وتقسيم الليل والنهار إلى ساعات، إضافة إلى ممارسة عبادة الله تعالى في أوقات محددة، يُقال إنَّ إدريس عليه السلام عرف موعد الطوفان الذي وقع لاحقًا في زمن النبي نوح عليه السلام، وقد اختلفت المصادر التاريخية في تحديد موضع ولادة إدريس ونشأته؛ فبعض الآراء بينت أنه وُلد في الشام، حيث عاصر جده آدم عليه السلام وتلقى منه أصول الشريعة. وتذهب روايات أخرى إلى القول بأنه وُلد في مدينة (منف) بمصر، غير أنَّ هذا القول ضعيف من الناحية التاريخية، إذ لم تكن هذه المدينة قائمة في زمنه بحسب ما هو معروف. وهناك من يرى أنَّ إدريس وُلد في جنوبي وادي النيل، وهو رأي يحظى بقبول نسبي، في حين ترجح مصادر أخرى ولادته في مدينة بابل، حيث نشأ وتعلم الكتابة. وتشير بعض الروايات إلى أنَّه واجه معارضة من قومه حين دعاهم إلى عبادة الله تعالى، مما دفعه إلى الهجرة مع أتباعه إلى بلاد النيل. ومع ذلك، تظل هذه الروايات محل اختلاف، والله أعلم بالحقيقة [١].

أما عن سيدنا إبراهيم عليه السلام فبحسب مآثر التوراة، فإنه جاء من (أور)[٢] الكلدانيين مع عائلته، وتقع هذه المدينة في بلاد الرافدين، ودعا إلى عبادة الله تعالى، فقد كان على خلاف مع أبيه الذي آمن بدين قومه المتمثل في عبادة الظواهر الطبيعية، وخاصةً الشمس والقمر، فإنَّ إبراهيم عليه السلام، وهو أبو الأنبياء قد رفض الوثنية ابتداءً وآمن بإله واحد لا شريك له ولا مثيل، وقد دعا قومه إلى عبادة الله تعالى في بلاد الرافدين. وبعد ذلك انتقل إبراهيم عليه السلام إلى أرض كنعان وهي أرض فلسطين واستمر بالجهر بدعوة التوحيد فيها [٣].

وإذا كان ظهور النبوة في حضارة بلاد الرافدين منذ القدم، وخاصة عند وجود النبي آدم وإبراهيم وإدريس عليهم السلام، فإنَّ لهذا كله تأثيرًا على نشر الدين في بلاد الرافدين وما حولها من

(بلا- ت)، ٣١/٣.

(١) العراق في التاريخ موجز التاريخ الحضاري، عامر سليمان، الموصل: جامعة الموصل، ١٩٥٥م، ١١٦/٢.

(٢) لا يرد ذكر مدينة (أور) العراقية القديمة في الترجمة السبعينية الإغريقية للتوراة. ومع ذلك فإنَّ المؤتمر الصهيوني الأول دعا إلى جعل جنوب العراق ووسطه الوطن القومي لليهود, وبناءً على هذه المآثر التي تجعل الوطن الأول لإبراهيم عليه السلام مدينة أور الكلدانية.

(٣) تاريخ الآلهة, فاروق الدملوجي, الكتاب الثالث في الديانة العبرية، (بلا- ت)، ص٣٥ وما بعدها.

الحضارات الأخرى، لأنَّ أصل الحضارة متوافق مع منهج الله تعالى، ومما يؤكد هذا الاستنتاج ما اكتشفه أهل الآثار من رقم ألواح طينية توضح عقائد الإنسان القديم، وأفكاره ومستوى تفكيره في الأشياء من حوله، بل ونظره إلى هذا الكون، فضلًا عما وجد عند السومريين من الرقم الطينية التي تؤكد على أنَّ عقيدة العراقيين القدماء كان أساسها هو تراث الأنبياء عليهم السلام[١]، الذي انتشر فيما بينهم بدءً من نزول النبي آدم عليه السلام وأولاده وسكنهم فيها واشتغالهم فيها بالزارعة، كل ذلك يؤكد على دورهم في نشر دين الله تعالى في بلاد الرافدين, أما الوثنية وعبادة العديد من الآلهة فقد طرأت في بعض الفترات القديمة في حضارة بلاد الرافدين وما جاورها, وقد رفض الأنبياء عليهم السلام تعدد الآلهة ودعوا للإيمان بالله عز وجل وحده.

لقد أظهرت الاكتشافات الأثرية الحديثة، ولا سيما ما توصل إليه علماء المسماريات من خلال فك رموز الكتابات المسمارية، تقاطعات لافتة بين ما دونه سكان وادي الرافدين من معارف ووقائع، وبين ما ورد في النصوص القرآنية من قضايا عقائدية وتاريخية. وهذا يعزز الفرضية القائلة بأنَّ حضارة بلاد الرافدين، كغيرها من الحضارات الكبرى، لم تنشأ في عزلة عن التأثيرات الدينية، بل جاءت نتيجة تفاعل الإنسان مع الرسالات السماوية التي بلغها أنبياء الله عليهم السلام في فترات زمنية متعاقبة. ولم يقتصر أثرها على حدود وادي الرافدين، بل تعداه إلى الحضارات المجاورة في الشرق والشمال الشرقي كـ (إيلام) و(أورارتو) في أرمينيا، وفي الجنوب نحو منطقة الخليج العربي، وكذلك غربًا إلى بلاد الشام ومصر، وشمالًا باتجاه الأناضول واليونان. وقد أشار العديد من الباحثين وعلماء الآثار إلى هذا الامتداد الثقافي والديني، معتبرين أنَّ المعتقدات التي سادت في وادي الرافدين, لا سيما الدعوة للتوحيد والإيمان بإله واحد وهو الله عز وجل ما هي إلا بقايا لتعاليم نبوات إلهية سابقة، يصعب عزوها إلى اجتهاد بشري خالص بالنظر إلى عمقها القيمي والروحي [٢].

كذلك كان تأثير الحضارة السومرية العالمي وهيمنتها على عقل الإنسان المعاصر، وتأثره بها حيثما كان، بل إنَّ ظهورها في هذا المكان الذي كان من الصعب فيه الاتصال بين بني البشر لعدم وجود الوسائل الصناعية للسيطرة على الظروف البيئية المتغيرة، وهذا ما أثار تساؤلات عديدة عن سر هذا الظهور المفاجئ لهذه الحضارة، فإنْ كانت استجابة لأمر إلهي، بأنْ تكون هذه البلاد مركزًا روحانيًا أو دينيًا، كما شاءت إرادة الله تعالى أنْ تستقبل هذه الأرض المهاجرين القادمين

(١) الأنبياء في العراق دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة والآثار، رعد شمس الدين الكيلاني، ص٥٢.
(٢) الأنبياء في العراق دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة والآثار، رعد شمس الدين الكيلاني، ص٥٢.

من جزيرة العرب، فينطلقوا منها إلى الأرض يبلغون رسالات الله عز وجل، فعلى أرضها انطلق أبو البشر الثاني نبينا نوح عليه السلام يُعلم الإنسانية دروسًا في التحمل، ومن هذه الأرض - أي بلاد الرافدين- انطلق أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام يُعلم الإنسانية الحكمة، ويقيم عليها الحجة، ونستنتج من هذا أنَّ حضارة - بلاد الرافدين - كانت نقطة الانطلاق في انتشار الدعوة إلى الدين من خلال الأنبياء والرسل (عليهم السلام) (١).

إذا كانت دعوة النبي نوح عليه السلام هي بداية الرسالات، فإنها كانت معلمًا بارزًا من معالم الحياة الإنسانية على الأرض، بل يمكننا أنْ نعد نبوة آدم عليه السلام هو أول معلم للبشرية، ويجيء من بعده نوح عليه السلام، فهو المعلم الثاني للبشرية بعد آدم عليه السلام، ولهذا فقد جاء في القرآن الكريم ذكر خاص برسالة نوح عليه السلام، فكان عندما يتحدث عن تاريخ الرسالات يبدأ به، ودليل على هذا قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾ (٢), ونحن نعلم أنَّ قبل نوح عليه السلام هناك أمم وأجيال بعد آدم عليه السلام، وهذه الرواية في إحدى الأحاديث النبوية، فكيف يكونون على الإسلام بدون أنبياء؟ لقد كان هناك أنبياء لكن القرآن الكريم لم يذكرهم، فقد أرخ - القرآن- لبداية الرسالات السماوية بدء من رسالة نوح عليه السلام لما لها من أهمية بالغة في انتشار الرسالة الإلهية والنبوات على الأرض، ومن هذا المفهوم نستطيع أنْ نستوعب آيات القرآن الكريم التي عدت آدم عليه السلام أبا البشر بوصفه عليه السلام الإنسان المصطفى من الله عز وجل من البشرية التي يبدأ تاريخها من عنده وأنْ تنتسب إليه. فعندما ينطق القرآن بـ (ذرية آدم) فقد يعني تقليب الإكرام على الكل أو تشريف الكل بإرجاع نسبها إلى الأصل المكرم وكذلك قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾(٣).

(١) المصدر نفسه, ص ٥٥.
(٢) سورة غافر، من الآية ٥.
(٣) سورة الإسراء، الآية ٣

الخاتمة

وختامًا لهذا البحث الذي تناولت فيه الألوهية وتطوراتها في حضارة بلاد الرافدين، والتي تعد من أعرق وأقدم الحضارات الإنسانية التي ظهرت بها مفهوم الألوهية بل ونشأ فيها, ومع مرور الزمن قد لاقت تطورًا بالغًا لدى اعتقادات الإنسان العراقي القديم الذي اعتقد في بداياته الأولى مفهوم تعدد الآلهة, وخاصة تلك التي ارتبطت بالعوامل الزراعية والاجتماعية، أو بمعنى أدق بحياته اليومية، وظواهرها الطبيعية والنجوم والكواكب وغيرها من الأشياء التي ظهرت في هذا الكون والوجود، وقد توصلنا إلى عدة نتائج هي:

١- إنَّ الآلهة التي ظهرت في هذه الحضارة (أنو)، و(إنليل)، و(إيا) قد شكلوا معًا ثالوثًا مقدسًا استمر لفترة زمنية طويلة إلى أنَّ تطور مفهوم الألوهية فيما بعد إلى ما عرف مع الإله (مردوخ)، والذي شكل مفهوم التفريد الإلهي وترأسه لكل الآلهة الأخرى، وقد كشفنا أنَّ ما توصلنا إليه في البحث حول التفريد على يد هذا الإله إنما تفريدًا جمع بين الدين والسلطة وهو أشبه بالتوحيد.

٢- كشفت في هذه الدراسة أنَّ مفهوم التوحيد بهذا المعنى قد تطور إلى ما يعرف بالتفريد الديني، وقد تمثل هذا المفهوم في ظهور الإله الواحد والتي تمثلت في العبادة لإله واحد من جانب الآلهة الأخرى، وقد ارتبط بهذا المفهوم ملحمة (إينوما إليش)، والتي انتصر فيها الإله (مردوخ) على غيره من الآلهة، حتى أصبح هو الإله الواحد الذي تخضع له باقي الآلهة، وهذا يعني أنَّ الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين تحول في هذه الفترة من التوجه بالعبادة إلى عدد من الآلهة إلى عبادة إله واحد هو (مردوخ)، كما ارتبطت بهذا المفهوم قصة (إنكي) التي صورت قصة خلق الكون وخلق الإنسان.

٣- استنتجت في هذه الدراسة أنَّ قصة الخلق في ملحمة (إينوما إليش) تشابهت مع ما وجد في قصة الخلق في الحضارة المصرية القديمة، مع اختلاف في طريقة الخلق, وهي قد بدأت هرمية من الفوضى إلى النظام في حضارة بلاد الرافدين ومن الآلهة إلى الإنسان، إذ أنَّ آليات الخلق اختلفت بين الحضارتين، ففي حين اعتمدت رواية الخلق عند الإنسان العراقي القديم على القوة والعنف كوسيلة للخلق، وذلك بانتصار الإله (مردوخ) على غيره من الآلهة، فيما قامت الرؤية المصرية في الخلق على النظام والنطق المقدس (أي الكلمة) بكونهما مصدر التكوين وبداية الخليقة.

٤- ما توصلت إليه في هذه الدراسة ارتباط قضية الخلود في حضارة بلاد الرافدين بالملاحم والقصص في الفكر الديني خاصة ملحمة (جلجامش)، والتي تبين لنا من خلال نصوصها أنَّ الخلود للآلهة فقط، وليس البشر، وقد سعى (جلجامش) إلى العيش في هذه الحياة والسعادة بما فيها. كما بينت مدى الارتباط بين هذه الملحمة ومسألة الألوهية وخلق الكون في حضارة بلاد الرافدين، إذ تضمنت معلومات على الرغم من قلتها، إلا أنها كانت في غاية الأهمية، والتي كشفت لنا عن انفصال السماء عن الأرض على يد الإله (إنليل) بعد أن كان كتلة واحدة، وقد خلق الإله إنسانًا واحدًا في بداية الخلق.

٥- ومما انتهيت إليه في هذه الدراسة أنَّ حضارة بلاد الرافدين القديمة كانت المهد الأول الذي ظهرت منه معالم النبوة والرسالات السماوية حيث توطن سيدنا آدم (عليه السلام) وأولاده أرض الرافدين لمدة من الزمن، بالإضافة إلى أنبياء آخرين مثل سيدنا نوح (عليه السلام) وأبو الأنبياء سيدنا إبراهيم (عليه السلام) وسيدنا إدريس (عليه السلام)، وجدير بالذكر هنا أنَّ الحضارة السومرية التي كان لها تأثيرًا عالميًا على انتشار الرسالات السماوية، كما أنَّ الأنبياء الذين ذكرناهم وخاصة نوح عليه السلام الذي انطلق من هذه الحضارة كمعلم للإنسانية والقيم.

أما أهم التوصيات فهي كالآتي:

١- يمكن التوسّع في دراسة العلاقة بين السلطة والكهنوت في تطور مفهوم التوحيد الإلهي في حضارة بلاد الرافدين، ولا سيما في شخصية الإله (مردوخ)، وربطها بالتحولات السياسية والاجتماعية التي رافقت هذا التطور.

٢- يمكن التوصية بإجراء مزيد من الدراسات المقارنة المعمقة بين الملاحم الرافدينية كـ (إينوما إليش) و(جلجامش) والنصوص الدينية القديمة في الحضارات المجاورة كالحضارة المصرية بصفة خاصة، لرصد التشابهات والاختلافات في تصور الألوهية وخلق الكون.

٣- دعوة الباحثين إلى تسليط الضوء على الأبعاد الأخلاقية والدينية في الملاحم الرافدينية، خصوصًا تلك التي تتناول الخلود، والموت، ومصير الإنسان، وربطها بالتصورات الميتافيزيقية في الفكر الديني القديم، كما يمكن تناولها بالمقارنة مع الحضارات الشرقية القديمة، وخاصة الحضارة المصرية.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولًا: المصادر والمراجع باللغة العربية:

١. الأنبياء في العراق دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة والآثار، رعد شمس الدين الكيلاني، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠١م.

٢. بلاد الرافدين: الكتابة والعقل والآلهة، جان بوتيرو، ترجمة: الأب ألبير أبونا، مراجعة: وليد الجادر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م.

٣. بلاد ما بين النهرين: حضارة بابل وآشور, ل. دولابورت، ترجمة: مارون الخوري، (بلا- ت).

٤. تاريخ الآلهة, فاروق الدملوجي, الكتاب الثالث في الديانة العبرية، (بلا- ت).

٥. تاريخ العراق القديم، طه باقر, بغداد, مطابع دار التعليم العالي, ط١، ١٩٩٠م.

٦. الحياة والموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة، نائل حنون، دمشق- سوريا، ٢٠٠٥م.

٧. الديانة المصرية القديمة، ياروسلاف تشرني، ترجمة: أحمد قدري، مراجعة: محمود ماهر طه، دار الشروق، القاهرة- مصر، ١٩٩٦م.

٨. ديانة مصر القديمة، أودلف إرمان، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر، محمد أنور شكري، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، مصر.

٩. العراق في التاريخ موجز التاريخ الحضاري، عامر سليمان، الموصل: جامعة الموصل، ١٩٥٥م.

١٠. فجر الضمير، جيمس هنري برستيد، ترجمة: سليم حسن، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة- مصر، ٢٠١٤م.

١١. الفكر الديني القديم، تقي الدباغ, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد- العراق، ١٩٩٢م.

١٢. الفكر السياسي في العراق القديم، عبد الرضا الطعان, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد- العراق, ط٢، ١٩٨٦م.

١٣. كنوز الأعماق: قراءة في ملحمة جلجامش، فراس السواح، دار العربي للطباعة والنشر، ١٩٨٧م.

١٤. المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، رشيد الناضوري, دار النهضة العربية للطباعة،

بيروت- لبنان, (بلا- ت).
١٥. المصنف الموجز في تاريخ الأديان، فريدريك لونوار، ترجمة: محمد الحداد، دار سيناترا، تونس.
١٦. المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر, سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٣م.
١٧. المعتقدات الدينية، حضارة العراق، فوزي رشيد, دار الحرية للطباعة, بغداد- العراق، ١٩٨٥م.
١٨. مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة: سوريا وبلاد الرافدين, فراس السواح, مؤسسة هنداوي.
١٩. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار الساقي، بيروت- لبنان.
٢٠. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، طه باقر، دار الحرية للطباعة، بغداد, ١٩٧٣م, وطبعة دار الشؤون الثقافية العامة, ١٩٨٦م،
٢١. من ألواح سومر، صموئيل نوح كريمر، ترجمة: طه باقر، مكتبة المثني، بغداد، ١٩٨١م.
٢٢. الوجيز في تاريخ العراق القديم، عبد القادر الشيخلي، جامعة بغداد، كلية التربية، (بلا- ت).

ثانيًا: الرسائل والمجلات:

١. الاسطورة والتراث في حضارة العراق القديم: ملحمة جلجامش أنموذجًا, عبدالرحمن عبدالله الصراف، مجلة الشرق الأوسط للعلوم الإنسانية والثقافية, ٢٠٢٢م.
٢. الحيوية والاستمرارية في العقائد العراقية القديمة حتى سقوط بابل (٥٣٩ق.م.)، شيماء ماجد كاظم, رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٧م.
٣. الطقوس الدينية المصاحبة لبناء المعابد في حضارة بلاد الرافدين، سامية معوشي، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية, المجلد٥، العدد١١، ٢٠١٧م.
٤. المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين، هالة عبد الأمير محسن، مجلة الجامعة العراقية، ٢٠١٤م.
٥. نشأة وتطور الديانة في وادي الرافدين، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، بلخير بقة، المجلد (٢)، العدد (١)، ٢٠١٩م.

List of Sources and References:

- The Holy Qur'an.

First: Sources and References in Arabic:

1. The Prophets in Iraq: A Comparative Study Between the Qur'an, the Torah, and Archaeological Evidence, Raad Shams al-Din al-Kilani, Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya, Baghdad, 2001.

2. Mesopotamia: Writing, Mind, and Gods, Jean Bottéro, Translated by: Father Albert Abouna, Reviewed by: Walid al-Jadir, Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya al-'Aamma, Baghdad, 1990.

3. Mesopotamia: The Civilization of Babylon and Assyria, L. Delaporte, Translated by: Maroun al-Khouri, (n.d.).

4. The History of Gods, Farouk al-Damluji, Book Three in the Hebrew Religion, (n.d.).

5. The Ancient History of Iraq, Taha Baqir, Baghdad: Higher Education Press, 1st ed., 1990.

6. Life and Death in the Civilization of Ancient Mesopotamia, Nael Hannoun, Damascus, Syria, 2005.

7. Ancient Egyptian Religion, Jaroslav Černý, Translated by: Ahmed Qadri, Reviewed by: Mahmoud Maher Taha, Dar al-Shorouk, Cairo, Egypt, 1996.

8. The Religion of Ancient Egypt, Adolf Erman, Translated by: Abdul Monem Abu Bakr and Mohamed Anwar Shukri, Mustafa al-Babi al-Halabi Press, Egypt.

9. Iraq in History: A Brief Cultural History, Amer Suleiman, Mosul: University of Mosul, 1955.

10. The Dawn of Conscience, James Henry Breasted, Translated by: Salim Hassan, Hindawi Foundation for Publishing, Cairo, Egypt, 2014.

11. Ancient Religious Thought, Taqi al-Dabbagh, Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya al-'Aamma, Baghdad, Iraq, 1992.

12. Political Thought in Ancient Iraq, Abdul-Ridha al-Taan, Dar al-Shu'un al-Thaqafi-

yya al-'Aamma, Baghdad, Iraq, 2nd ed., 1986.

13. Treasures of the Depths: A Reading in the Epic of Gilgamesh, Firas al-Sawwah, Dar al-Arabi for Printing and Publishing, 1987.

14. An Introduction to the Historical Development of Religious Thought, Rashid al-Nadhouri, Dar al-Nahda al-Arabia for Printing, Beirut, Lebanon, (n.d.).

15. A Concise Treatise on the History of Religions, Frédéric Lenoir, Translated by: Mohamed al-Haddad, Dar Sinatra, Tunisia.

16. Religious Beliefs of Peoples, Geoffrey Parrinder, World of Knowledge Series, National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 1993.

17. Religious Beliefs, Civilization of Iraq, Fawzi Rashid, Dar al-Hurriya for Printing, Baghdad, Iraq, 1985.

18. The First Adventure of the Mind: A Study in Myth—Syria and Mesopotamia, Firas al-Sawwah, Hindawi Foundation.

19. The Detailed History of the Arabs Before Islam, Dr. Jawad Ali, Dar al-Saqi, Beirut, Lebanon.

20. Introduction to the History of Ancient Civilizations, Taha Baqir, Dar al-Hurriya for Printing, Baghdad, 1973, and Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya al-'Aamma edition, 1986.

21. From the Tablets of Sumer, Samuel Noah Kramer, Translated by: Taha Baqir, Al-Muthanna Library, Baghdad, 1981.

22. A Brief History of Ancient Iraq, Abdul Qader al-Sheikhly, University of Baghdad, College of Education, (n.d.).

Second: Theses and Journals:

1. Myth and Heritage in the Civilization of Ancient Iraq: The Epic of Gilgamesh as a Model, Abdulrahman Abdullah al-Sarraf, Middle East Journal of Humanities and Cultural Studies, 2022.

2. Vitality and Continuity in Ancient Iraqi Beliefs Until the Fall of Babylon (539 B.C.), Shaimaa Majid Kazem, Unpublished M.A. Thesis, University of Baghdad, Col-

lege of Arts, 2007.

3. Religious Rituals Accompanying the Construction of Temples in Mesopotamian Civilization, Samia Maoushi, Al-Hikma Journal for Historical Studies, Vol. 5, Issue 11, 2017.

4. Religious Beliefs in Mesopotamia, Hala Abdul Amir Mohsen, University of Iraq Journal, 2014.

5. The Origin and Development of Religion in Mesopotamia, Belkheir Baqa, Al-ʻIbar Journal for Historical and Archaeological Studies in North Africa, Vol. 2, Issue 1, 2019.